لكن ما الفرق بين العيش في بغداد او لندن او دمشق او موسكو مادامت الشخصية تعيش نمط الحياة والعلاقات ذاته . ان الارتباط بمكان ماهو الارتباط بقضية هذا المكان وليس مجرد ارتباط عاطفي او جغرافي . ان وديع وعصام ولمى واميليا وجميع الشخصيات في « السفينة » تعيش نمط حياة بينه وبين النمط العام لحياة المجتمع العربي مسافات ومسافات ، ولهذا فلا اهمية لوجود هذه الشخصيات في لندن او بغداد او غيرهما اذ انها في بلادها تعيش « الغرب » الذى تدعي في حواراتها الثقافية انها ترفضه ، شخصيات كولونيالية ، واذا اتفقنا على ان هناك « نمط انتاج كولونيالي » فهؤلاء ممثلوه ومحققوه حياتيا وفكريا .

ذات مرة يصرح وديع عساف : « اما كفاكم عشائريات؟ » (ص ٢٤٠) . ولكن نابذ العشائريات هذا ، اى حياة يعيش ، والى اية حياة يدعو ؟ انه يعيش حياة الطبقة الوسطى والى حياتها يدعو ، ومن هنا يأتي رفضه العشائريات لصالحه هو ، وليس للصالح العام ، وقد مر الحديث عن ذلك في اثناء تحليل رواية « صيادون في شارع ضيق » .

٤ ـ «البحث عن وليد مسعود »

تنسج رواية « البحث عن وليد مسعود »شبكة العلاقات ذاتها التي نسجتها « السفينة » . فالشخصيات الروائية بمواقعها ومواقفها وصفاتها الاجتماعية والفكرية هي اياها في « السفينة » ، وكما في باقي الروايات الاخرى ففي البحث عن وليد مسعود نجد الشخصيات التالية :

١ ــ وليد مسعود : صيرفي ؛ مثقف : له مغامرات نسائية ؛ فلسطيني .
٢ ــ سميرة اسماعيل : مثقفة ؛ تلقت تعليما عاليا في الغرب .
٣ ــ د . حسني جواد : استاذ جامعة ؛ كاتب .
٤ ــ مريم الصغار : استاذه جامعية ؛ مطلقة ؛ شهوانية .
٥ ــ د . طارق رؤوف : طبيب امراض نفسية .
٦ ــ عامر عبد الحميد : مقاول ؛ مثقف .
٧ ــ وصال رؤوف : موظفة بنك ؛ شاعرة .
٨ ــ سوسن عبد الهادى : رسامة .
٩ ــ ابراهيم الحاج نوفل : كاتب ؛ غني .

هذه الشخصيات التي هي : « كتاب ؛ شعراء ؛ صحافيون ؛ مصرفيون » كما يصف وليد مسعود اصدقاء : تنسج هذه الرواية التي مدارها وليد مسعود وعلى الاصح : اختفاء وليد مسعود : الذى ترك سيارته في الصحراء مع شريط سجل عليه كلاما اشبه بالهلوسة .

اذا كانت « السفينة » تبدأ في زمنها من نقطة الحاضر ، الذى هو الرحلة في البحر ، ثم تعود خلال ذلك الى الماضي كاشفة حياة شخصياتها ، فان « البحث عن وليد مسعود » تتبع خط الزمن نفسه : اذ انها تبدأ من نقطة حاضرة هي اختفاء وليد مسعود لتنسج تساؤلات واراء وشخصيات من خلالها تبني الرواية وحياة وليد مسعود معا . ان الزمن الروائي في العملين ينطلق من الحاضر عائدا الى الماضي وكاشفا عبر ذلك الحاضر . فماذا عن « وليد مسعود » الذي